



---

## Water formation and the transition rate in the Jabouri Poetry

Hossein Elyasi\*

*is a doctoral graduate of the University of Tehran and a postdoctoral researcher,*

*hsn\_elyasi@ut.ac.ir*

*Ali Baqer Taheri Nia*

*Professor of Arabic Language and Literature, University of Tehran,*

*btaheriniya@ut.ac.ir*

*Ezat Mullah Ebrahimi*

*Professor of Arabic Language and Literature, University of Tehran*

---

-Received on:02/05/2020

Accepted on:07/10/2020

-DOI: 10.30479/lm.2020.13153.3012

© Imam Khomeini International University. All rights reserved

---

### Abstract

The poets use it Water is the backbone of contemporary Iraqi poetry. intensively in their poetry. We rarely find a poetic model without water energies in the poetry of contemporary poets. They are various uses for the The presence of water in .concept of water in poetry work such as transition contemporary poetry ranges from a variety of different subjects. The subject of transition is the general theme that is vastly present in Jabouri's poetry. This research is a journey of criticism in the world of Jabouri's poetic art and an attempt through the descriptive-analytical approach to study the transit passage. The result of this research ultimately indicates that the poet tries in his poetic formulations to obscure the act of crossing and moving. In the poetry of Jabouri, it carries the obsession of crossing and moving. We address transition of the poetry of the poet and the other meanings in this research. The facilitation in this field is the great use of water and its tools in its poetic formations and the presence of water, along with the movement and flow to the poetic scene, which increase its potential and semantic potential.

**Keywords:** contemporary Arabic poetry, maad al-Jubouri, water composition, transi

### مائیة التشکیل الشعريّ وهاجس العبور في شعر معد الجبوري

حسين إلباسي، متخرج في مرحلة الدكتوراه بجامعة طهران وباحث مرحلة ما بعد الدكتوراه.  
علي باقر طاهري نيا، أستاذ قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران.  
عزت ملا إبراهيمي، أستاذة قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران.

### الملخص

يعدّ الماء الجزء الأساسي في الشعر العراقيّ المعاصر، بحيث يستخدمه الشعراء في أشعارهم بصورة مكثّفة وقلمًا نجد نموذجاً شعرياً يخلو من طاقات الماء في شعر الشعراء المعاصرين والشعراء في استخدامهم لطاقات الماء يستخدمونه لأغراض مختلفة ودلالات كثيرة وإلى جانب الخصوصيّة الدلاليّة للماء في النص الشعريّ، يسهم في خلق حيويّة التشكيل الشعريّ والبناء الدلاليّ المتّسم بالإبداع والتجديد ويتراوح حضور الماء ما بين مجموعة من الموضوعات ويحمل في حضوره الأسطوري والإبداعي في نسيج الشعر العربيّ المعاصر والعراقيّ على وجه التحديد الموضوعات والدلالات المختلفة وتعدّ ثيمة العبور والانتقال هي الموضوع العام الذي احتلّ حيزاً كبيراً من الشعر العراقيّ المعاصر. يعدّ معد الجبوري من الشعراء العراقيّين البارزين الذين أكثروا من استخدام الماء في قصائدهم. هذا البحث رحلة نقدية في شعر الجبوري والمنهج المتبع في دراسة هذا الحقل من شعر الشاعر هو المنهج الانتقائيّ التحليلي المتناسب وطبيعة البحث من خلال اختيار النماذج المعنويّة بطاقات الماء ومعطياته في شعر الجبوري والعكوف عليها بالفحص والتحليل لبيان فاعليّة الماء ومعطياته في شعر الشاعر وتشير النتائج إلى أنّ الشاعر يحاول في تشكيلاته الشعريّة التي يستخدم فيها طاقات الماء ومعطياته لتجسيد فعل التجاوز والانتقال ويتمحور فعل العبور ما بين تجاوز الركون إلى الموت والنزوع إلى الحياة والانتقال من منطقة الحزن وتجاوز الواقع العربيّ المهزوم وبلوغ لحظة الانفتاح ووسيلة العبور والتجاوز هو الموت والفداء في سبيل الأرض والوطن والعبور من منطقة الحفاف المرتبة بالحالة الثقافيّة العربيّة التي من شأنها فرض التابوات على أجواء العلاقات بين الجنسين إلى فضاء النشوة والبهجة المتمثلة في التواصل بين المرأة والرجل والانتقال من مرحلة فكريّة سلبية إلى أخرى إيجابية والمعاني الأخرى التي نعالجها في هذا البحث من خلال دراسة العيّات المختارة من شعر الشاعر ووسيلته في هذا الميدان هي الاستعانة الكبيرة بالماء ومعطياته في تشكيلاته الشعريّة وحضور الماء إلى جانب إضفاء الحركة والدفق إلى المشهد الشعريّ يزيد من طاقاته الإيحائيّة والدلاليّة.

كلمات مفتاحيّة: الشعر العربيّ المعاصر، معد الجبوري، التشكيل المائيّ، العبور.

## ۱- المقدمة

یمثل مفهوم العبور وثیمته من أهم ثیمات شعر شعراء السنیات ونرى لهذا المفهوم هیمنته على الفضاء الشعري وعلى الجسد النصي للقصيدة عند شعراء هذا الجيل ووسيلتهم لتجسيد حالات العبور والتجاوز هي الماء الذي یحمل المرجعية الأسطورية والمعرفیة والحضاریة ویترجح مفهوم العبور ما بین مجموعة من الدلالات المختلفة التي تتحدّد حسب السياق ویمثل العبور المفهوم المهم الذي له تبلّجه الواضح فی شعر الجبوري وهو شدید الاهتمام بالاستخدام الفني للماء ومعطياته لتجسيد فعل العبور والتجاوز فی تشکیلات شعریة یهيمن الخیال على فضاءاتها ووسيلته فی هذا الميدان هي الاستعانة بالماء ومعطياته ولا يتوقف الماء فی دلالته على معاني العبور والتجاوز وفي حضوره الفني فی شعر الشاعر «حدود ورود الدال داخل إطار الموضوع فحسب، بل یمتدّ مفهوم الماء لیكون فضاءً شعرياً يتعلّق بحيویة القصيدة ورؤیتها وفلسفتها فالماء هو ماء اللغة وماء الموقف وماء الحساسیة الشعریة وماء الرؤیة وماء الحضارة الشعریة» (صابر عیید، ۲۰۱۴م: ۲۰) یستخدمه الشاعر بصورة فنیة تحمل ملامح البكارة فی كلّ تشکيل شعري لمعد الجبوري والحساسیة المائیة فی هذا الإطار ترتبط بالعلاقة الوطیة بین الانسان العراقيّ حیث یصطدم بالماء منذ خروجه من رحم الأم حتى الموت وماء الرؤیة یرتبط بواقعیة الماء فی تعبيره عن الوعي الفعلي والممكن فی صورته الاستشرافیة المستقبلیة والماء فی بعده الحضاري یرتبط بالرافدین وحضورهما الاسطوري على أرض العراق ویحمل الدلالات المختلفة فی شعر الشاعر والبحث هذا تمعن نقدي فی ثیمة العبور والتجاوز المتجسّد بالتشکيل المائي لشعر الجبوري ونهدف من وراء هذا البحث إلى دراسة حضور الماء فی شعر الشاعر لیبان فاعلیة حضوره فی التشکيل الشعريّ لمعد الجبوري ویعتمد على المنهج الانتقائي - التحليلي من خلال انتقاء النماذج من شعر الشاعر یستثمر طاقات الماء ومعطياته ومن ثمّ العكوف علیها بالفحص والتحليل وتتوخّى بهذا الرؤیة النقدیة إلى التشکيل المائي عند الجبوري أن نجد إجابات واضحة لمجموعة من الأسئلة منها:

كيف تبلور فكرة العبور فی شعر الجبوري؟

وما هي الدلالات الموضوعاتیة للتشکيل المائي فی شعر الشاعر؟

## ۱-۱. خلفیة البحث

كثرت دراسات تناولت شعر معد الجبوري وأخذتها بالفحص والتحليل منها: كتبت بشرى البستاني مقالا "عنقوان التجربة وتوهج الصحاري" وقامت الشاعرة بعد دراسة أشكال الموسیقى فی شعر الجبوري بدراسة رمز الصحراء والدلالات المختلفة التي تنبثق منه فی شعر الشاعر والمقال دراسة عابرة للخصوصیة الشکلیة لشعر معد الجبوري ودراسة عابرة لدلالات رمز الصحراء فی شعر الشاعر وكتب خضير محمد مقالا معنوناً بـ «قصيدة "لقاء الأخير" للشاعر معد الجبوري: قراءة فی المتن الشعريّ» والمقالة مطبوعة فی مجلة آداب الرافدین سنة ۲۰۰۹م وهي مقارنة فی ضوء نظریة التلقي لهذه القصيدة ومحاولة للوصول إلى المعاني والمقصديات بتجاوز البعد الظاهراتي للنص الشعريّ وكتب حسين إیاسي مقالة معنونة بـ «ثنائیة الموت والحياة فی شعر معد الجبوري» طبعت فی مجلة دراسات الأدب المعاصر سنة ۲۰۱۸م فی العدد الـ ۳۷ وهي دراسة عابرة لموضوع الصراع بین الموت والحياة وكتب الكاتب نفسه مقالة تحمل عنوان "حركیة الرمز وانحراف الحضور فی شعر معد الجبوري" طبعت فی مجلة لسان المبین والمقالة مقارنة نقدیة لموضوع المفارقة التصوريّة فی شعر الشاعر من دون الاهتمام بأنماط المفارقة الأخرى ودراسة

للدلالات المختلفة لبعض الرموز واختار إخلاص محمود عبدالله موضوع «سيميائية العنوان في شعر معد الجبوري» عنواناً لرسالته سنة ٢٠١٣م في جامعة الموصل والبحث مقارنة سيميائية للعنوان وكيفية تشظي دلالاته في النص الشعري و«بنية الإيقاع في شعر معد الجبوري» رسالة ماجستير لقاسم محمد محمود ونوقشت عام ٢٠٠٧م وهي مقارنة للإيقاع بأنماطها المختلفة في شعر الشاعر وما يعانيه منه البحث هو هيمنة الرؤية الظاهرية إلى الإيقاع من دون الاهتمام بالعلاقة بينها وبين المعنى والدلالة ولم نجد بعد الرحلة الطويلة في المجالات والمواقع الإلكترونية بحثاً يمتُّ بصلة بهذا الموضوع وهذا هو أول دراسة تحاول للكشف عن فاعلية حضور الماء في التشكيل الشعري للجبوري.

## ٢- فعل العبور ومائة القصيدة عند الجبوري

يعدُّ الماء الجزء الشعري الأساس وقلماً نجد في الشعر العربي المعاصر والعراقي خصوصاً نموذجاً شعرياً يخلو من حضور الماء وطاقاته وكان الشعر حين لا يستثمر فيه الشاعر الماء وطاقاته، يفقد الجزء البنائي المهم من أجزاء الشعر وكأنه الجزء البنيوي الأساسي في الشعر خاصة عند شعراء جيل الستينيات ومن منهم نشأ وترعرع في أحضان الماء مثل العراقيين برافديهم و«ذلك أن الشعر العراقي على الأغلب الأعم مشحون بطاقة الماء وأن الإنسان العراقي أصلاً هو كائن أسطوري مائي منذ الأزل والشاعر الجبوري أحد أكبر حراس الماء الشعري في تجربة الشعر الحديث، إذ ربّما لا تجد قصيدة من قصائده لا تحتفي بالماء فكلُّ قصائده مشربة بالماء ولا يكاد يخرج القارئ لشعر معد الجبوري إلا ويجد أن الماء قد تسرب إلى جسده» (صابر عبيد، ٢٠١٤م: ١٦) في صورة مثيرة جمالية تبعث لذة التلقي في نفسية القارئ من جهة وإمتاع التلقي وزيادة طاقات الشعر الإيحائية من جهة أخرى، كما يسهم الحضور الفني للماء في حيوية التشكيل الشعري، حيث أصبح البناء المائي الجزء الشعري الذي لا يستهان به في شعر الشاعر «إذ نجد أن رؤيته للقصيدة (مائة) نابعة من إدراك الحقيقة المائية للغة الشعر وهي تتوغل في ماء عظيم لا أول له ولا آخر، يبلى الكلام والرؤية وفضاء الاستقبال والتلقي» (السابق: ١٦) والمعنى الذي يطغى على التشكيل المائي في شعر الشاعر هو معنى العبور والتجاوز ونرى الحضور الطاعني لهذا المعنى في الكثير من العناوين مثل: بطاقة عبور، العبور، عبور، من كتاب العبور، طردية العبور<sup>١</sup> وفي الحقيقة يحلم معد الجبوري بالعبور والتجاوز في كل كلمة يقولها وصار مرتكزاً شعرياً «ذات ارتباط خاص بالفضاء المكاني وهو يفترض وجود المكينين أو منطقتين للعبور من إحداها إلى الآخر ومن الناحية المعنوية والنفسية فإنه يفترض الانتقال من حال سلبية إلى أخرى مختلفة إيجابية كونه يمثل الطرف الوسط بين منطقتين متصارعتين أو متضادتين يعيش بينهما الشاعر ويحاول العبور من إحداها إلى الأخرى أو بالعكس» (محمود عبدالله، ٢٠١٢م: ١١٥) انطلاقاً من القناعة بأن الحضور في الحالة السلبية من دون صدور أي اندفاع من الإنسان للخروج والتحوّل يعني الموت والضياع وسحق الآمال والأحلام.

## ٢-١. العبور من الموت إلى الحياة

يعمل في ميدان النضال كوسيلة لبثّ الأمل والتفاؤل في نفسية الشعب وفي الحقيقة يعمل كوسيلة تشحذ الهمم وتقود مشوار الشعب في حركته النضالية بما يؤكد عليه من حالات الفتح والانفتاح وحمية النصر. «إن الشعر المعاصر رديف للثورة والانقلابات وأينما حدثت ثورة وانقلاب فقد صاحبها شعر ثوري يضرم نارها والحقيقة التي لا غبار فيها، هي أن

الشعر أساس الثورة وعامل النهوض باعتراف الناقد مهدي زيتون وعلنا لا نجافي الحقيقة إن قلنا إن الشعر هو المحرك الأول والأساس الذي يخلق أول إرهابات الرفض والتمرد عند الإنسان» (إلياسي، ۲۰۱۷م: ۲۲) ووسيلته للإلحاح والإصرار على المقاومة والنضال هي التأكيد على لحظة النصر والانفتاح حيث يؤكد على حتمية الولادة الجديدة وتجاوز الراهن السلبي انطلاقاً من وعيه بفاعلية هذا التركيز للوعي الممكن ولهذا نرى تشكيلاته الشعرية تومض بالأمل والتفاؤل (طاهري نيا والآخرون، ۱۳۹۸: ۶۷) وحتمية العبور والانتقال من الموت والوضع السلبي الراهن إلى الحياة والانفتاح وهذا ما يواجهنا في تشكيلات الجبوري الشعرية اسمعه يقول في قصيدة ثلاث لقطات لوجه واحد: في عنقي حبلاً من الرمل / أطالغ الجموع / في كُتب القفاز / أحلم أن يطلع طير الناز / من قفص الدموع / أغادر المملكة السوداء / أعتنق الرحيل نحو الماء / ولتكن الهجرة / من مقصورة الصمت إلى الماء / أحمل ناري للديار / أرى شواطئاً تضمني / وبعد أن أذبح فوق عشبها / قبرة الحزن / وألقي كفني / أترك سكينتي علامة / على الضفاف .. (الجبوري، ۲۰۱۴: ۱۰۳-۱۰۶).

غلف الماء المشهد الشعري برمته ونرى حضور الماء والشواطئ والضفاف على أرض القصيدة والمنطلق في هذا التشكيل الشعري هو المملكة السوداء وقصص الدموع والمقصد في رحلة العبور هو الماء الذي يستهدف الشاعر الرحيل نحوه والمملكة السوداء هي الواقع العراقي زمن صدام حسين والبدال اللوني في وصف المملكة بالسوداء يحيل إلى قتامة الواقع العراقي والحالة الأساسية التي يعيش فيها العراق عند هيمنة البعث عليه وإنّ الدموع إشارة إلى عذابات العراق ومعاناته أو معاناة إنسانه وكما قيل آنفاً إنّ المقصد في رحلة العبور هو الماء والماء في مفارقة تامة مع الواقع المتمثل في المملكة السوداء وقصص الدموع وهو يحمل دلالات الحياة والانبعث والخصب والنماء وسرّ العبور يكمن فط الشهادة والفداء المتمثل في الكفن.

إنّ الحقيقة التي تؤكد عليها الواقعية الاشتراكية هي «أنّ الحياة والسعادة لا تنال إلا على جسر من التضحيات والموت في سبيل الأرض والوطن حالة استشراكية وتفاؤل يتطلع إلى نور يغسل أدران الظلام عن وجه الأرض» (الخليل، ۲۰۱۲م: ۲۴۱- ۲۴۲) ويعيد إليه الحياة والبهجة وفي ضوء هذه الحقيقة نرى الشاعر يجسد فكرة الموت ويرى أنّ الرحيل نحو الماء والعبور من قتامة الواقع العراقي لا يتحقق من دون تقديم التضحيات الجسيمة فداءً للوطن فنبد الكفن وترك السكينة لتصبح علامة على الضفاف تجسيد شعري لمعاني الحضور والخلود وهذا الحضور يأتي «نتيجة فعل الموت والفداء في سبيل الأرض وما يقدمه الإنسان لها من قربان» (التميمي، ۲۰۰۱م: ۱۰۵) في رحلة العبور نحو الماء وفي الحقيقة يؤكد معد الجبوري في هذا التشكيل الشعري المائي على جمالية الموت بالقرينة المضمرة له ويدعو إليه إيماناً بحقيقة مفادها «أنّ الموت في سبيل الأرض والوطن هو الموت البطولي الذي تحيا به الأرض ويحيا به إنسانها وهذا الموت هو الحياة بعينها، فيه يتحرر الوطن ويرتوي من دماء الشهداء فيخضر» (التميمي، ۲۰۰۶م: ۱۱۵) والأرض تعيش حالة من الرماد الفينيقي وهي كالفينيق تنهض من تحت الرماد ويخفق الأعداء في ممارسة مشروع الضياع والإبادة لأنّ دماء الشهداء هي التي تقف بوجه مشروعهم وتجهض مثل هذا المشاريع.

## ۲-۲. عبور منطقة الحزن

كانت هزيمة العرب أمام الكيان الصهيوني في يونيو ۱۹۶۷م بمثابة زلزال كبير وانتكاسة كبرى هزّت الساحة العربية وساد اليأس والقنوط على فضاء الشعر وراح الشعراء يجسّدون هذه الهزيمة بقلوبهم المغممة بالأسى على ما آلت إليه

الأرض العربية من التفسخ والتشطي وهم الشعراء الذين تخبطوا في ثقل الحاضر وعكرت الهزيمة صفحات شعرهم الناصعة البيضاء ووصلوا حدّ المأساة في أشعارهم وثمة طائفة من الشعراء تعاملوا مع هذه الهزيمة المرة بالرؤية المستشرقية ويعدّ شاعرنا من البارزين في هذا التيار وراح في أشعاره يستشرف مستقبل الوطن العربي برويته الديموية بعد نكسة ١٩٦٧م وهذا التكهن بالمستقبل تحقّق بالفعل في حرب تشرين ١٩٧٣م أمام الكيان الصهيونيّ حيث يقول:

أني كنتُ بكيتُك يا وطني/ حتى ابيضتُ عيناي /أعرفُ أنّ الصورة/بينَ حُزيرانَ وتشرين/ أعمقُ ممّا بينَ الجرحِ/وبينَ السكينِ /قلّمُ: (كانَ الدّمُ مُحْتَيِنًا في الأعراق/ الدّمُ في رَحِمِ الجرحِ المُقفلِ مُحْتَقِنٌ/ لكني أُنَبِّئُكُمْ أني في تشرينِ/أرأيتُ الدّمَ يورقُ/لكني أُنَبِّئُكُمْ أني في تشرينِ/أرأيتُ الماءَ/يتدفقُ بينَ أكفِّ الجندِ الممتدين/ منَ الجولانِ/إلى سيناءَ/تشرينِ/ فوهاتُ مدافعنا/ ليسُ أعشاشاً للطيّر / تشرينِ/ آخرُ ما يسقطُ منَ تقويمِ الأحرانِ .....(الجبوري، ٢٠١٤م: ١٦٢-١٦٤).

والمشهد الشعريّ تحوي على صورة الدم وحالة انجاسه وحالة انفتاحه وسط غمار الحرب والصراع كما استخدم طاقات الماء السيميائية ويتضمن التشكيل الشعريّ مفارقة بين حضور الدم في حرب حزيران وحضور الدم في تشرين والمفارقة بين السلبية والإيجابية؛ فاحتقان الدم في الأعراق وفي رحم الجرح المقفل في حرب حزيران ١٩٦٧م تعبير عن حالة السكون وعدم الاندفاع والمحاولة لتمتّع من تناسي المجد العربيّ وإشارة إلى رخو الحضور في مواجهة العدوان الإسرائيليّ وحدث العبور من هذه الحالة ومن منطقة الحزن والأسى بانفتاح الحضور العربيّ في تشرين ١٩٧٣ في الحرب ضدّ إسرائيل كما يتجسّد في الدم المراق من بين رمال الصحراء حيث تدفق الماء بين أكفّ الجند الذين امتدوا من الجولان إلى سيناء وتدفق الماء، هو تعبير شعري عن الحياة واستمراريتها وعدم انتفاع الحياة رغم فضاءات الموت والصنّاع ورغم كل الممارسات المستهدفة لإبادة الشعب وقتل أحلامهم وإذا كان العطش المتداخل في العظم باعتبارهم يسدّ طريق الرؤيا ويجهض الحلم العربيّ فتدفع الماء من بين أكفّ الجند بعد عبور منطقة الحزن بالدم فيؤكد على تحقق الحلم العربيّ في حرب تشرين وسقوط أحزان تعشّشت في أذهان العرب منذ نكسة ١٩٦٧م.

## ٢-٣. كشف الذات وتحقيق الكينونة بعد عبور منطقة التيه والاغتراب

يجعل معد الجبوري أرض قصائده مشحونة بطاقات الماء ومعطياته في تعبيره عن الواقع العراقيّ ومن متعلقات الماء في شعر الجبوري هو النهر والشاعر يستخدم النهر في الكثير من قصائده إذ يرتبط النهر في الكثير من قصائده بدال الرحلة ليعكس تجربة العبور والانتقال و«تجربة العبور والانتقال ترتبط بتجربة الذات والفرد أو يرتبط الانتقال بالعبور من مرحلة اجتماعية وحضارية إلى مرحلة أخرى» (عفيفي، ٢٠١٦م: ٦٦) مثلما نلاحظ في قصيدة العبور:

على طَلَلِ الوَطَنِ المُسْتَجِيرِ/ بِأَقْدَامِنَا/وَحُطِي العَابِرِينَ/وقفنا عرايا/نَلْمُ ثِيَابَ الطُفُولَةِ/ نَسْأَلُ عَنْ حَاذَةِ نَسْطَلُّ بِحَيْطَانِهَا/وقفنا نُحَيِّئُ/عورَاتِنَا/كانت الرِيحُ تصفّرُ/والشمسُ تسقطُ خلفَ الجِبَالِ/وأجسادنا ينضجُ المِلْحُ منها/ ورائحةُ التبغِ والأسبرينِ / بأوجُهنا/ووجوه السبايا/وقفنا عرايا/فتحننا كتابَ الغيابِ/احتكّمنا إليه... (الجبوري، ٢٠١٤م: ٤٨-٤٩).

ففي افتتاحية القصيدة يجسّد الشاعر ما آلت إليه الأرض العربية من الإحباط والموت نتيجة خفوت الوعي وسبات الفكر في الشارع العربيّ وفي الحقيقة يكرّس الجبوري حقيقة يؤمن بها وهي أنّ غيب الفكر المتوهج وخفوت جذوة الوعي في الوطن العربيّ وهيمنة الغياب على الأرض العربية من أهم الأسباب التي جرّت الأرض العربية إلى الصنّاع وبالعودة إلى النص الشعري نجد أنّ الشاعر في هذه الافتتاحية يعبر عن انتفاء النضج الفكري بتجسيد المشهد

الطفولي المتعلق بجماعة الرجال فنرى الشاعر يجسّد وقوفهم عرايا وهو يجمعون ثياب طفولتهم ويستظلّون بحيطان الحارة تعبيراً عن حقيقة الحضور العربيّ المتسم بالدونيّة والخفوت وعدم النضج الفكريّ، فهم لا يملكون الفكر المتوهّج والوعي المتقد للخروج من الدوامه والحصار أو يتوحّى الشاعر بتجسيد المشهد الطفولي مع ما يختزنها من الإشارات والإيحاءات التعبير عن حقيقة الحضور العربيّ الموسوم بالضعف واللامبالاة والفعل السلبيّ وسط دوامة الاستلاب والقهر التي تدور بالأرض كأنّ العرب أطفال وعقولهم ووعيهم بهذا الحجم ولا يهتمهم شيء لا الوطن ولا مصير الشعب وفي تجسيد هذا المشهد الطفولي سخرية لاذعة للذين لا يرى الشاعر منهم الاندفاع والخروج لإنقاذ الوطن ولا يخرجون على بكرة أبيهم وهذا هو ما يحمل مسؤوليّة محنة الأرض العربيّة ومعاناتها وعذاباتها وما آلت إليه من الذبول والانطفاء فالريح وهي تعدّ من لوازم الماء لإسهامها في تحريك السحاب وخلق حالة التلاصق بينها ومن ثمّ هبوط الأمطار على وجه الأرض تصفّر وفي فعل الاصفرار تعبير عن الذبول والموت والانطفاء وحالة الركود التي غلّفت الأرض وذلك «لأنّ اللون الأصفر لونٌ يغطّي الموتى قبل موتهم وفي هذا التشكيل الشعريّ دال سيميائي على معاني الذبول والموت» (طاهري نيا، إلياسي، ١٣٩٦: ٩٥) وفي اصفرار الريح وهي تحمل دلالات الحركة والاستمرارية وفاعليّة دورة الزمان والمكان، تعبير شعري سيميائي عن حالة السكوتيّة وفقدان الفاعليّة في الأرض نتيجة غياب الفعل الإنساني التوافق إلى الحياة ونتيجة غياب الفكر والوعي في الأرض العربيّة وفي سقوط الشمس تعبير شعري آخر عن انطفاء فاعليات الأرض العربيّة نتيجة هيمنة منطق الغياب على الفكر والوعي العربيين وهذا هو الواقع العربيّ المروم الذي تجسّده القصيدة و الذي يجعل الإنسان العربيّ أن يتأقلم من هذا الواقع المنكوب باقتفاء النهر لينسلخ نفسه من هذا الواقع ويجعل نفسه في أحضان الاعتراب في محاولة لإعادة الحلم الجميل إلى الأرض:

انتظرنا خيولَ العُبورِ / اقتفينا خطى النهر/ فرّقنا النهر/ غنينا على شاطئه / تلقّف أصواتنا الشاطئ الأوّل / الدربُ كان بيتُ/ فحيح الثعابين / والأفقُ كان يُرجعُ / صوتَ السعالِ / فوقَ الترابِ بقايا قبور/ بقايا جماجم/ مرميّة في العراء... (الجبوري، ٢٠١٤م: ٤٩-٥٢).

ونجد عند إمعان النظر في هذا التشكيل الشعريّ أنّ منطق العبور يحكم على الفضاء الشعريّ ووسيلة العبور هو حضور النهر ومعطياته مثل الشواطئ وما يجلب الانتباه في رحلة العبور هو حضور النهر في انجرافه وحركيّته وتجسيد الشاطئين المختلفين في الصورتين المختلفتين. وفي اقتفاء خطى النهر بوصفه وسيلة العبور وتجاوز بداية لرحلة التيه والاعتراب للإنسان العربيّ الذي عانى ولا يزال من العقم الفكري الذي يعيش فيه العرب والذي جرّ الأرض العربيّة إلى الضياع والانحطاط والنهر في هذا التشكيل الشعريّ يصبح مسرح الحراك والمواجهة والعبور محاولة للبحث عن الذات والكشف عن الكينونة ولبلوغ الحياة والخصب والنماء بعد المغامرة الطويلة المليئة بالاضطراب وتقلّب الأحوال مع ما ينتابهم من قلق المسير والاعتراب فهم يمتشقون صهوة النهر العظيم وفي الشاطئ الأوّل يفرّقهم النهر ويغيبون في الشاطئ الأوّل ويتلقّف الشاطئ أصواتهم ويسرقها منهم وهم على صهوة النهر وفي الأرض بقايا الجماجم وبقايا القبور على وجه الأرض وفي هذا المشهد ينتابهم الخوف والذعر:

دُعرنا/ لبسنا جلودَ الذنابِ/ وسرنا لمملكةِ الرعبِ/ نرمي جمازَ السبابِ/ يوجه القبورِ/ سمعنا هديرَ أسارى/ وهم يكسرون القيودَ/ رأينا قصوراً زجاجيّةً/ تنهاوى/ فتطلع من بينها أذنُجُ/ تملأ الأرضَ/ تمتدّ نحو السماء... (م، ٢٠١٤م: ٥٠-٥٢).

وفي حضورهم على صفوة النهر لعبور الواقع الموسوم بالسكوتية والموت وفي الشاطئ الأول بمشاهده المفعمة بالأخطار والخوف والتوجس أدركوا أن لا حيلة لهم وسط دوامة الموت والضياح سوى المجابهة والمواجهة فليسوا جلود الذئاب لمواجهة الأخطار وهم يرمون جمار السباب بوجه القبور انكاراً للموت والعدمية وفي المشهد الآخر يرون الأسارى يكسرون القيود والقصور الزجاجية تتساقط على وجه الأرض بينما تظهر من بينها أذرع تمتد نحو السماء وتملأ الأرض تعبيراً عن معاني العلو والارتفاع عبر تجسيد اتصال الأرضي بالسماوي تأكيداً على فاعلية حضورهم والسمو نحو الأمل والحلم وهذا ما حصل لهم بعد رحلة شاقة مع ما اتابهم من الشعور بالاغتراب والخوف والهلع وفي الشاطئ الآخر يجسد الشاعر امتداد الدرب وبلوغ الحياة والعودة الى الواقع الذي تغيرت ملامحها:

وفي الشاطئ الآخر/امتدّ درب/رحلنا به للبراري/عدونا وراء خيول/ تخبّ على الماء تصهّل حول الضفاف/ رأينا طيور الحبارى/ تُخلّق في أفق أزرق/ وزنايق تولّد بين الرمال/ رأينا جسورا/ تحمل أصوات فرساننا العائدين.. (الجبوري، ٢٠١٤م: ٢١-٥٢).

وإذا كان المشهد في الشاطئ الأول مليئاً بالأخطار والخوف والتوجس فالمشهد في الشاطئ الآخر، يمحو فيه الشعور بالخوف والقلق ويستقر فيه الشعور بالأمن والطمأنينة ولا يطاردهم في هذا الشاطئ الخوف وهذا هو جدوى عبورهم من منطقة الخوف والحزن والقلق بالمواجهة والنضال في خضم مشقاتها كما يتجسد في التشكيل المائي المتمثل في الماء والصفاف والشاطئ ففي هذا المشهد هم يعدون وراء خيول تخبّ على الماء وتصهّل حول الصفاف تجسيدا لأجواء الفرح والبهجة وإذا كان الأفق في المشهد الأول يرجع صوت السعالى فالأفق في هذا المشهد ينبض بالحياة والأمن والسلام. إن الطيور هي رمز السلام والطمأنينة وتحليقهم في الأفق الأزرق بما يحمله الدال اللوني من دلالات تتلائم ودلالات الطيور والماء «فهو لون يثير الشعور بالاسترخاء والراحة والسلام وأنه يؤثر على جسم الإنسان فيجعله ينتج مادة كيميائية تسبب التخدر في المشاعر والاستقرار في العواطف» (متقى زاده، احمدى، ٢٠١٤م: ١٣٥) يحيلنا إلى فضاء يتسم بالأمن والسلام والراحة وفي تولد الزنايق من بين الرمال تعبير شعري عن فضاء الحياة والخصب والنماء في المشهد المتعلق بالشاطئ الثاني وهذه هي الحصيلة النهائية لعبورهم من منطقة الخوف كما يتجسد في التشكيل المائي.

## ٢-٤. العبور من مرحلة فكرية إلى أخرى إيجابية

ثمة نوع من العبور يرتبط بالتجربة المكائنية أو يرتبط بالانتقال من مكان إلى آخر ووجوب الانتقال من المرحلة الفكرية المتسمة بالسلبية إلى المرحلة الفكرية الإيجابية مثلما نلاحظ في قصيدة الخروج من بطن الحوت اسمعه يقول:

ويشاء حنيني/ للسفر الدائم/ أن أدخل أرض جزيرة (قاف) // نائية طوّفتُ بها/ سبعة أيام بلياليها/ أسمع فيها وأرى // لماذا لا أدخل مملكة البحر/ ودخلت/ رأيت الموج يُدحرجُ شمساً حمراء/ وأصدافاً هائلة/ تفتتح في زبدٍ سحريّ منفوخ/ افتجّع حولي خلّق في الأرض كثير/ (أصوات تلتف على قدمي/ عيون تلتف عيني) واقتادوني من شفتي إلى البحر/ وقالوا/ عد يا يونس، من حيث أتيت، إلى بطن الحوت/ أجنّت لتعجب/ أم تدخل طقس الأمواج؟ (الجبوري، ٢٠١٤م: ٢٢٩-٢٣١).

يكتظ المشهد الشعري بالماء إحياء وإيقاعاً وفي الحقيقة مائة أرض القصيدية والمناخ المائي للقصيدية تضعنا أمام مجموعة من المشاهد الشعرية المحافلة بالحركة والاستقرارية والفكرة التي تنبثق من المشاهد الشعرية المائية هي فكرة الخروج والعبور والسفر في افتتاحية القصيدة يحمل دلالات العبور والانتقال من مكان إلى آخر لبلوغ التحول في



الحالة النفسیة والفكرة أو لنقل إنَّ الانتقال فی هذه القصیة يحدث علی صعيد الفكرة والمكان معاً فیونس العصر دائم الحنین إلى مملكة البحر بأمواجها التي تدحرج الشمس الحمراء وبأصدافها الهائلة التي تتفتح فی قاع البحر تعبيراً عن فاعلیة الزمان والمكان فی مملكة البحر من خلال فعل التفتح فی قاع البحر وسيطرة الموج علی الشمس للتعبیر عن اتصال مملكة البحر بالسماوی فیونس يدرك أين یقف فی خضم الحالات السلبيّة التي يعيش فیها فی ارتطامه مع الذين یطاردونہ ویلحقون إليه الأذى والعذاب وهذا ما يدفع یونس إلى العبور والخروج من المكان الحاضر لبلوغ النقلة النوعیة فی فكرته وحالته النفسیة:

فاذکُرْ یا یونسُ/قریةً اَبْنائکَ/والرحلة فی بطنِ الحوتِ/رَموکَ بأصدافِ قاسیةٍ/وتشَقِّقُ جِلْدکَ/فاتعِظُ یومَ/وغادرِ دورَ الشَّحاذِ السَّاذِجِ/قُلْ: اِنِّی اَدْخَلُ/اولاًعَرَقُ/وهذا عَصْرُ خروِجِ/واذکُرْ یا یونسُ/ کِیفَ ترکْتَ/الأمسَ/ینوحُ ورائکَ / ولرغباتِ خفضتِ جناحَ الذکری/فادخلُ/حتی یُخَصِّرَ جِیبکَ فی البحرِ/واکانَ الشَّاطِئُ مُحَمَّرًا یغلی/فرایتُ رجالاً/یُخرجُ کُلَّ منهمُ سَکیناً/ویهرولُ/هرولتُ/فناولنی رجلٌ منهمُ/سکیناً/ثمَّ اشتَبکْتُ حلقاتُ الرقصِ/وهمهمتِ الأصواتُ المُبهمةُ/استقفوروا/استقفوروا .. /) کانَتْ کُلُّ الأیدی/ (الجبوری، ۲۰۱۴م: ۲۳۱-۲۳۴).

والشیخ الذي تطلع بهیأة طفل صغیر أمام یونس العصر یذکره بما فعل قومہ بحقّه بعد أن رموه فی البحر وتشقق جلده فی البحر ویدعوه إلى الوعي والفکر ونبذ دور الشحاذ الساذج فالحاضر هو عصر الفکر والوعي والنقلة النوعیة التي یدعو إليها الشیخ فی هذه المرحلة تحدث علی صعيد الفکر والوعي فیونس بوصفه الإنسان العربی الذي یعاني من سلسلة العذابات والتخاذل والإنهيارات، لا بدّ له من مسایرة العصر فی الحدائث فی الفکر والوعي والانتقال من المرحلة الفکریة التي يعيش فیها إلى المرحلة الأخری المتمسمة بالتجدد والحدائث وثمة مرحلة عبور یدعو إليها الشیخ وهي الانتقال من الفردیة إلى الاجتماعیة وخفض الجناح للرجبات یضعنا أمام هذا النمط من العبور؛ فالعبور المتوتخی فی هذا التشکیل الشعری هو العبور من الانسیاق وراء الفردانیة والخوض فی مرحلة اجتماعیة والانصهار فی بوتقة الجماعة وفي حالة من النضج الفکری بعد بلوغ الحدائث فی الفکر والوعي وهذا من أهم متطلبات العصر وبلوغ هذه المرحلة الفکریة بعد عبور المرحلة الفکریة المعیشة یحمل فی طياته اللحظات الإيجابية وتفرز عن النتائج المثمرة للغاية وإلى هذه الحقیقة یقودنا فعل الهرولة واشتباك حلقات الرقص واحمرار الشواطئ. ففعل الهرولة إشارة إلى أجواء الحركة والفاعلیة والرقص فی هذا المشهد الشعری ویجسد الشاعر اشتباك حلقاته علی الشواطئ، هو تعبير عن خاصیة الحياة وتحقق الأمل والحلم فی فضاء الأمن والسلام «فالرقص كما هو معلوم عنه أنّه حالة دون الكلام وفوق الكلام حیث لا تعود الكلمات کافیة، یبدأ رقص الجسد کله، فهو حُمى جسدیة حمیمة قادرة علی هز کلّ المخلوق وتحريكه حتّى الجنون أو الذهول عما هو فیهِ وكان الرقصه هي التجلي الانفجاري لغریزة الحياة والقفز الجسدي/الروحي فوق الزمان بحثاً عن الوجود والغبیوبة فی فناء الأزلیات» (فتحي غانم، ۲۰۱۵م: ۸۹) وهذا الفضاء هو المحصلة النهائیة للإنسان العربی المعاصر فی تموضعه وسط منطقة الحلم والواقع وهذا الفضاء العارم بلحظة السرور والنشوة تعبير للنتائج الإيجابية التي تفرزها الخوض فی غمار المواجهة والمجابهة بالحدائث فی الفکر والوعي واللون الأحمر الذي تصطبغه الشواطئ «هو اللون الذي یرفض السکوئیة والضياع وهو قتال ضد التشتت وضد الدوامة التي تدور بالإنسان المعاصر» (البستاني، ۲۰۱۵م: ۸۸) وفي احمرار الشواطئ فی هذا التشکیل الشعری المائي تعبير شعري عن ارادة الحياة وتعبیر عن حقیقة یؤمن بها الشاعر من خلال ما یشیعه الدال اللوني من الإیحاء والدلالات وهي أنّ الحضور بالنسبة للإنسان العربی وسط ساحات القتال والمواجهة مع الحدائث فی الفکر والوعي هو ینقذ المكان المنكوب ویمنع

من تشظي الأرض إذ إنّ الحضور الموسوم بهذه الصفة يمنع من ممارسة مشروع الضياع والإبادة من قبل أعداء الأرض والوطن واسمعه يقول:

قلتُ: الساعة/بغتسلُ الموجُ الهائجُ بالدمِ /تخرجُ مِنْ بطنِ الحوتِ/سكنَ الموجُ/فعدتُ حورياتُ البحرِ تلوّحُ/  
واخضرتُ جُرُزُ فوقَ الماءِ/وحطَّتْ عندَ الشاطئِ/شمسٌ بيضاءُ/فاسكنُ يا يونسُ قلبَ الموجةِ/يخرجُ حوتُ الغفلةِ/من  
أعماقِكُ/ وإذا ما عدتُ إلى المُوصلِ /فأقْصُصْ رُؤْيَاكَ على الصَّحْبِ،/وذكّرْهم بِعذابِ الصَّبرِ (الجبوري، ٢٠١٤م:  
٢٣٤-٢٣٥).

والمشهد المائي في خاتمة القصيدة يجسد خروج يونس من بطن الحوت وثمة مفارقة بين ما يجسده النص الشعريّ وما جاء في القصة القرآنيّة. ففي القصة القرآنيّة أن يونس بعد أن ترك قومه «فركب مع قوم في سفينة فلججت بهم وخافوا أن يغرقوا فاقترعوا على رجل يلقونه من بينهم يتخففون منه فوقع عليه القرعة فأبوا أن يلقوه ثمّ أعادوا القرعة فوقعت عليه ثمّ ألقى نفسه في البحر وقد أرسل الله حوتاً يشقُّ البحار فالتقم يونس وأوحى الله إلى ذلك الحوت أن لا تأكل له لحماً ولا تهشم له عظماً وإنما بطنك له يكون سجناً» (ابن الكثير، ٢٠٠٠: ١٢٤٨) وفي ظلمات بطن الحوت أدرك يونس أنّ ما يلاقي من العذاب هو نتيجة لخطيئته وعدم الامتثال والانصياع لإرادة الله حيث ترك قومه في كفرهم وطغيانهم فاستغفر ونادى ربّه في ظلمات بطن الحوت غير أنّ حضور يونس العصر في بطن الحوت وعذاباته لم يذكره بخطيئته وهو لا يزال يحمل غفلته وخطيئته ومن هنا يطلب الشيخ من يونس أن يركب صهوة الموجة بوصفها المنقذة والمخلصة ليونس وهي رمز الحركة ورمز العبور وهي القوة الفاعلة التي تزيل الغفلة التي أنجبت للإنسان والأرض معاً هذا الحجم الكبير من العذاب والمأساة وعلى هذا الأساس يدعو الشيخ الذي تراءى أمام يونس العصر بهيئة طفل صغير إلى العبور والانتقال ليختم على هذه الغفلة المفصية إلى الرخو والسكوتية وللحضور في خضم الصراعات بالفكر والوعي والانتباه في انطلاقة إيجابية تنقذ الأرض والوطن وفي نهاية المطاف يطلب الشيخ من يونس وهو ألقى رحله بعد تحمل هذا الحجم الكبير من المشقات والصعاب من أن يقصّ رؤياه على أصحابه ويذكرهم بعذابات الصبر والركون للنسيان والغفلة والانكفاء.

## ٢-٥. العبور من الجفاف إلى الحلم

وثمة نوع من العبور وهو العبور من واقع يابس إلى الحلم والعبور يحدث على مستوى الحالة من دون المكان بمعنى أنّ المفهوم الذي يقدّمه التشكيل المائي يرتبط بالانتقال من الحالة السلبية إلى الحالة الإيجابية وهذا العبور بحالتيه المتصارعين يرتبط بحالة الافتراق والاتصال المرتبطين بالرجل والمرأة؛ فالحالة السلبية هي حالات العذاب والمعاناة للجسد الذكوري والأنثوي عند التمتع من التواصل بفعل الحالة الثقافيّة السائدة على الشارع العربيّ والحالة الإيجابية ترتبط بأجواء النشوة والبهجة والحلم والدافق عند التواصل الجسدي اسمعه يقول في قصيدته كأس زرقاء:

أهمسُ/ مِنْ قَبْلِ أَلْفِ شِراعٍ/ نَسَرْتُ على البحرِ/ كُنْتُ انتظرتُكُ / على البحرِ / كُنْتُ انتظرتُكُ/ تلتفتُ كَفْتُ  
بكفّ/ويأخذنا الموجُ/ يأخذنا طائرُ الحُلْمِ،/حتى أقاصي التّوحدِ/ يلتفتُ غصنٌ بغصنٍ / يهبطُ الأفقُ للبحرِ،/شِيناً/  
فشِيناً/وينحدرُ الليلُ مثلَ ملاكٍ/ إلى سُرْفَةِ القلبِ / فأصحو،/ وُرُقَةٌ عَيْنينِ/ بينَ ذراعَيَّ / اسريري أزرُقُ/كأسِي زرقاءُ/  
والليلُ أزرُقُ./ ساحلٌ مَقْمَرٌ/لا يدبُّ إليه النُّعاسُ..(الجبوري، ٢٠١٤م: ٧٥٠-٧٥٢).

استثمر المشهد الشعريّ الماء ومعطياته للتعبير عن فاعليّة الحياة عند التواصل بين الرجل والمرأة كما استغل الشاعر الفضاء الصوفي من خلال استخدام بعض الالفاظ والحالات من المعجم الصوفي مثل الحلم والصحو. ففعل الانتظار على صفحة البحر ارتياد من الشاعر للعبور من المنطقة الحالية التي تتسم بالجفاف وبلوغ منطقة التواصل الطافحة بالحياة والحركة والفاعليّة ويتمّ التواصل على البحر بين الاثنين بالتفاف الكفّ بالكفّ في المشهد المائي؛ بالتفاف الكف بداية للتواصل وعند هذا التواصل يأخذهما الموج بوصفه رمز الحركة في رحلة الحياة والمستقر في هذه الرحلة هو عالم الحلم «وهو عنوان على الحياة النابضة بالدفق والنابضة بالحبّ والتأمل والمثول ويمثّل مرحلة مهمة من مراحل تحقيق التوازن النسبي بين الداخل والخارج» (شادن جميل، ۲۰۱۰م: ۳۲) أو إنّ عالم الحلم يمثّل التوازن بين الجانب الروحي والجسدي ويمكن أن نقول أنّ الشاعر يريد أن يعبر عن حقيقة مفادها أنّ التواصل الجسدي يرقى بالجسد ويتعالى به الجسد إلى مرتبة حدّ الروح وقودهما نحو الحلم في حالة من الوجد الصوفي والتوحد هو التقمصّ الفاعل بين الرجل والمرأة جسداً وروحاً والمشهد الآخر في هذا التشكيل الشعريّ هو التفاف الغصن بالغصن على البحر والغصن هو الذراع والمشهد في هذا التشكيل الشعريّ مشهد جسدي يعبر عن فاعليّة الحياة وهو سر الحياة وبهجة الجسد ونشوة الروح فعند التواصل الجسدي يهبط الأفق للبحر وينحدر ليل السكون والهدوء والطمأنينة على شرفة القلب ويصحو فيه الرجل والصهوة من مفردات المعجم الصوفي وهو تعبير عن حالة النشوة الأبدية التي يصل إليها السالك/الرجل عند التواصل مع الجسد الأثوي الذي يخرج الإثنين من التيه ومن الغياب اسمعه يقول:

ذات متاه،/ عند شواطئ دجلة/أهمتُ على وجهي/وامرأة في الضفّة الأخرى/هائمةٌ مثلي/في عينيّ تُحدّق عبر  
النهر/وعبر النهر أُحدّق في عينيها/لحظات /أعبرُ .. تعبرُ/أدنو/تدخل لحظات/والضفتان معاً/في مُنصفِ النهر/امرأة  
تلتفتُ عليّ/وألتفتُ عليها/نتوحّد،/ياخذنا الماء/ /ونحنُ معاً نغرقُ(الجبوري، ۲۰۱۴م: ۷۹۳-۷۹۴).

ويحاول الشاعر في هذا السياق المائي المكتنّ بطاقات الماء ومعطياته لتكريس حالات إيجابية ترتبط بالتواصل بين الرجل والمرأة للحصّ على هدم التابوات الذكورية والجسدية - التي من شأنها التمتع من التواصل بينهما ثم نبذهما في ظلال التيه والغياب - والتيه في هذا التشكيل الشعريّ المائي هو تيه تابوات المجتمعات الذكورية - ومن ثمّ بناء منظومة ثقافية وحضارية جديدة يدخل فيها الرجل والمرأة في انسجام وتلاحم والعبور من منطقة التيه والغياب ففي الواقع النصي يجسد الشاعر المرأة تهيم على وجه ضفاف دجلة ويهيم مثلها الرجل على ضفة أخرى وفعل التحديق في هذا التشكيل المائي يحمل دلالات الترقّب والانتظار ويحاول كلّ منهما العبور من الضفة إلى الأخرى ويحدث العبور من منطقة التيه بالتواصل بين الرجل والمرأة ويحدث هذا التواصل ويتمّ العبور في منتصف النهر بالتفاف كل منهما على الآخر وفعل التلاقي والتوحد ونتيجة هذا التلاحم بين الرجل والمرأة هي العبور من التيه وبلوغ لحظة التجليّ والحياة والغرق في الماء تعبيراً عن الديمومة والحياة والاستمرارية المثمرة ويمكن أن يكون الماء هو ماء الحضارة الجديدة المتسمة بالحركة والاستمرارية والتدفق والحيوية؛ هذه الحضارة التي تبنى بالتواصل والتلاحم بين الرجل والمرأة وتطفح بنشوة الحياة ونشوة الديمومة.

## ٦-٢. التشبث بالهوية وفعل العبور

يعدُّ التشبُّثُ بالهوية وبالحياء وسيلة المواجهة والمقابلة في شعر الجبوري وفي الحقيقة أنَّ التشبُّثُ بالهوية بالأرض هو الذي يغذي إرادة النضال عند الإنسان العربيّ ويزيده الحاحاً على خيار المقاومة والصبر على ممصنات المقاومة: *دَفَعَ المَوْجُ بالمَوْجِ/وانهَارَ جُرْفٌ/ وجُرْفٌ/ اللالِئُ في القَعْرِ مدفونَةٌ/والطحالبُ تَطْفُو/ ذَبَّتِ الأَشْنَاتُ الغريبةُ/من كُلِّ صوبٍ/وغابَ الشجرُ/ وأنا، بهمومي أقومُ وأكبو/كلُّ شيءٍ يُدْرِجُهُ المَوْجُ/ينهاؤُ سَدُّ/ ويَصْعَدُ سَدُّ كلُّ شيءٍ يضيّقُ/وأنا، مِنْ رمادي/ إلى الطينِ والماءِ/أعدو/حاملاً جَنَّةَ السنبلة/ضارباً حَجَرَ الحُلمِ ( الجبوري، ٢٠١٤م: ٦٠٤-٦٠٧).*

والمشهد الشعريّ في هذه القصيدة يتكئ على قوة الماء ومعطياته غير أنّ ثمة مفارقة بين حضور الماء ومعطياته في هذا النص والنصوص السابقة والمفارقة ترتبط بالبعد السلبي والإيجابي لحضور الماء فالماء في التشكيلات السابقة يحمل الدلالات الإيجابية واستخدمه الشاعر عنواناً على الحركة وهو يحمل هنا البعد السلبي وصار عنواناً على الواقع العربيّ المأزوم ويوحى بالظروف المعيشة المتسمة بالخوف والاضطراب والموت وتفشي الظلم وفساد القيم وهذا البعد يرتبط بحضور الموح - وهو يدفع كل شيء ويدخره إلى الضياع والخراب وصار الموح القوة التدميرية - والجرف والطحالب وهي نوع من الأعشاب الصغيرة تثبت على حاشية الأنهار ففي هذا المشهد الشعريّ المائي يدفع الموح بالموج وينهار جرف الماء لتكون الصورة الشعريّة المائيّة صورة عن واقع مرتبك يعجُّ به الاضطراب والاستقرار وتطفو الطحالب بمعنى تغطي وجه الماء تعبيراً عن عتمة الواقع العراقيّ وقمامته وهذا هو الواقع العراقيّ والعبور من هذا الواقع يتأتى بفعل التشبُّث بالأرض والوطن والخروج من حالة الاغتراب بين الأرض وإنسانها وفي الحقيقة أن الماء في هذا التشكيل الشعريّ يحمل البعد الحضاري ويصبح عنواناً على الحضارة العراقيّة العريقة وهو يرتبط بالرالفدين والعدو نحو الماء ونحو الطين هو المحاولة للتشبُّث بالحضارة والهوية والأرض وهذا التشبُّث هو مسوّغ العبور من الواقع إلى الحياة فالشاعر بعد تشبُّثه بالهوية والأرض يأتي بالبشارة إلى الأرض حاملاً السنبلة وهي رمز الحياة إلى الأرض والوطن.

## ٧-٢. عبور صحراء العذاب ومعاناة المنفى

إنَّ الارتباط بين الإنسان والمكان علاقة وجدانية ولا يخفى على أحد الدور المهم والمساهمة الكبيرة للمكان في تكوينه وفي الحقيقة «بين الإنسان والمكان الذي ينشأ فيه ويعيش فيه سنيه الأولى، علاقة تنبض بالحياة والمحبة وتبدأ هذه العلاقة بمحاولة تعرّف الإنسان إلى مكونات المكان وملامحه وجمالياته، ومن ثمّ يحاول أن يندغم وينسجم مع المكان ثم ينتقل إلى مرحلة التعاطف والتواصل والانتماء إليه» (التميمي، ٢٠٠٦م: ١٢٩) وهكذا تعامل شاعرنا مع المكان وتجذّر المكان في نفسه ومشاعره بصورة بلغ في اشعاره حد التناغم والانسجام والتناغم مع المكان الأم يقول في قصيدة زمان القسّ والخشخاش:

أيتها البعيدة والقريبة/وانزعي الأدغال/من رتني/والصبيير من صدري/ولون السّيح من عيني/يا مَنْ صوتها  
وشمي/غيبني زمان القسّ والخشخاش/غيبني/وهذا الصمّت/ابن البحر والبحر، استطلّ/وغبت يا  
وطني/وصاق الحلم، ضاق/ يا مرآتي الأولى/ونافذتي على الخُلجان والشطآن/ أيتها البعيدة والقريبة/إذا

عانقتيني/ أن أجلسنك فوق عرش/ بين أهدابي/ وأعبر هذه الصحراء/ متى تتوهجين /والقنديل/والحناء؟  
..(الجبوري، ٢٠١٤م: ٦٣١-٦٣٤).

وأصبح الشاعر مكبلاً بالهموم والأحزان في منفاه وغاب عنه الوطن وضاع بغيابه الحلم وفي هذا النص الشعري يقف منه موقف العاشق من المعشوق ويطلب من الأرض أن تنزع الأدغال وهي نوع من الأشجار المكثفة تلتف برثته وتزيل الصبير من صدره وهو رغم بعد مسافته عن الأرض والوطن إلا أن الأرض لا تزال تحيا في نفسه وعروقه وهو يحمل وشم أرضه وبالرغم من أن الشاعر يعيش في منفاه وتاه الوطن ما بين بحار الغربة ومناهاة الاغتراب كما يتجسد في التشكيل المائي وضاع معه الحلم والحياة لكن الأرض صارت كمرآة تتبليج أمام عينيه على الشيطان والخلجان في رحلة التيه والمنفى وبلغت العلاقة بين الأرض والشاعر حد التقمص بصورة يعلن الشاعر بصراحة أنه يحلم بالعبور من عذابات المنفى وصحراء المعاناة ولكن هذا العبور يحصل عند معانقة الأرض للشاعر في منفاه والشاعر يجد سبيله إلى العبور والخلص من عذابات المنفى ومعاناة الصحراء عند المعانقة والتعانق وعمليّة الأخذ والعطاء المتبادلة وثمة في هذا التشكيل المائي ما يلفت الانتباه ويشير التأمل وإمعان النظر ويدغدغ وعي القارئ وهو فعل معانقة الأرض والشاعر في منفاه؛ فكيف يمكن للأرض أن تعانقه وهو في المنفى والجواب أيسر مما تظن وهو أن الشاعر هو في المنفى ويطلب من الأرض أن تنزع عنه الحواجز والأدغال ويطلب منها أن تعانقه وهو في منفاه وهذا الارتباط بين الأرض وبين الشاعر وهو في منفاه تأكيد منه على شدة انتمائه إلى الأرض وإلى الوطن وفي الحقيقة أنه يعيش في المنفى جسداً لكنه يعيش في أرضه بروحه وأحاسيسه ومشاعره الجياشة وهذه العلاقة هي التي تخفف من آلام المنفى وعذاباته.

## ٢-٨. من الحاضر إلى الماضي ورحلة الحلم

وإذا كان موضوع العبور في شعر معد الجبوري هو الانتقال من مكان إلى آخر أو مرحلة اجتماعية وفكرية إلى أخرى فثمة نوع من العبور يرتبط بالانتقال الزمني أو الانتقال من الحاضر إلى الماضي ويكثر الشاعر من هذا النمط من العبور في قصائده الأسرية [١] التي تدور في فضاء الأسرة بما فيها من الأحداث والذكريات اسمعه يقول في قصيدة تلك الشجرة البعيدة:

النساء الجميلات في الحَيِّ/غادرْنَ قبلَ العشيِّ/وحدك تبقينَ شامحةً وجميلةً / والسيداتُ النَّيبلاتُ/طَوَّحْنَ العذابُ/إرفاقُ الطفولةِ راحوا/وما زلتِ سيِّدةَ الأصدقاءِ/الْقُدَامِي/وَوَكَّرَ الطفولةُ/ذاكُ وجهُ الصبيِّ الذي يتقافزُ/ بينَ السُّطوحِ القديمةِ/ صوتُ الصبيِّ الذي يملأُ الدَّارَ/ /ذاكُ زمانٌ نظيفٌ/ومُمْتَلِيٌّ/ كالغصونِ الطريةِ/ تَلِكُ أختي التي ودَّعتُ/ وثيابُ الرَّفَافِ عليها،/وحنًاؤها في يديها/تُرغردُ بينَ البناتِ الصغيراتِ.....(الجبوري، ٢٠١٤م: ٢٥٩-٢٦١).

والمشهد الشعري في هذه القصيدة مشهد سردي يستخدم فيه الشاعر تقانة الاسترجاع الذاكري ويعبر الزمن الحاضر في التحليق الذاكري ويشاركه النهر في هذه الرحلة إلى فضاء الحي وفضاء الأسرة ويجسد الشاعر النهر في صورة كأنه تابع الشاعر والنهر هو نهر الطفولة بما يختزنه من الذكريات الجميلة ويسرد فضاء الحي منتقلاً منه إلى فضاء الأسرة فيجسد النساء الجميلات غادرْنَ أمَّ الشاعر وهي تبقى شامخة وجميلة وتحمل الصعاب وتداعب رياح التعب وجهها وفي انتقاله إلى فضاء الأسرة يسرد الأحداث المرتبطة بنفسه في صورة طفل صغير يتقافز بين السطوح القديمة وصوته يملأ البيت ثم بعد أن غلب عليه التعب والإعياء يدخل حضان أمه وشبهه بوكر الطفولة في هذا النص

الشعريّ وفي فضاء الأسرة ينتقل الشاعر إلى سرد حفلة الزفاف المرتبطة بأخته في صورة يجسّد زفاف أخته وهو بين زغردة النساء يودّع أختها وفي المشهد السردى الاسترجاعي نرى في هذه القصيدة الحوار بين الشاعر وبين أخته التي ودّعها يوم زفافها:

قولي لها/سعودُ الصبيّ المُدَلَّلُ / إذ تهبُّ الظلماتُ الثقيلةُ/ كانَ نهرُ الطفولةِ مُتصِلاً/والليالي طويلاً/ أَخْذُ الآنَ قلبي/من بين أعشابِكِ المُطَمِّئَةِ /من طلع كلُّ البراعمِ/أمسحُ عنه الغبارَ القديمِ/وأحلمُ/قلبي عنقودك الأبيصُ العَصُ/ينفِرُ الآنَ/في ساحةِ البيتِ/قلبي فرحُ اليَمَامِ/يَنبُطُ من الغصنِ للغصنِ / /اتطلعُ/ أَخْذُ وجهي/أمسحُ عنه رمادَ المسافاتِ/مَنْ يمسحُ اليومَ/شيبِي المُبَكَّرَ/ لي نَهْرٌ آخَرَ يتواصلُ/يبدأ مِنْ حِلْمِ ذاكِ الصبيّ المُدَلَّلِ/يبدأ منك/ ومن صبرِ أمي التي لم تزلْ /شامِخَةً/وجميلةً....(الجبوري، ٢٠١٤م: ٢٦٢-٢٦٤).

وبعد التحليق الذاكري في فضاء الأسرة يعود الشاعر إلى الحاضر في حوار مع أخته أخذ طابع المناجاة ويطلب منها أن تخبر الأمّ بعودة صبيها المدلل إليها وإلى حضنها للتخفيف من آلامها وأوجاعها وهي رغم مرور السنوات الطوال تحمل الشموخ ولا تزال ملامح الجمال على وجهها ورغم الفراق بينهما وبين الشاعر وفضاء الأسرة لكنّ النهر متصل بالشاعر ويدغدغه ويؤثّره للتحليق في ذلك الفضاء والعودة إليه والنهر هو الذي يجعل الماضي الراهن والغائب الحاضر بما يملئ على الشاعر من ذكريات الطفولة في فضاء الأسرة والحوار المجري بين الشاعر وبين أخته يحدث في الزمن الحاضر والشيب علا على وجه الشاعر ويجسّد الشاعر ارتطام الزمان الحاضر بالماضي ويتصل به نهر آخر من ذكريات طفولته ويعبّر الحاضر إلى الماضي مرة أخرى ويحلم بالفضاء الأسري مرة أخرى ويجسّد قلبه في صورة فرخ يمام يحلّق من بين الأغصان ويلهو ويلعب من الصبيّة الآخرين وبعد رحلة الحلم الطويلة في عالم الطفولة وفي فضاء الأسرة يعود الشاعر إلى الزمن الحاضر ويأخذ وجهه ويمسح عنه رماد المسافات بينه وبين الأسرة بالمحاولة للعودة إلى الأمّ لكنه يغلبه اليأس في مسح شيبه المبكر من وجهه وفي الحقيقة يتضمن المشهد مقارنة بين الأمل واليأس وبين الطموح والقسوة ويتجلى الأمل في عودة الشاعر إلى حضن أمه ويتجلى اليأس في ارتياد مسح شيب الشاعر المبكر في الاستفهام الاتماسي الذي يحيلنا إلى يأس الشاعر وما يعتريه من الحزن والأسى.

## النتائج

يعد موضوع العبور من أهم موضوعات شعر الجبوري والعبور عادة هو الانتقال من الحالة السلبية إلى الحالة الإيجابية أو من المرحلة الاجتماعية إلى الأخرى ويعد الماء وسيلة العبور ويتأرجح حضور ثيمة العبور في شعر الجبوري ما بين مجموعة من الموضوعات ويختلف موضوع العبور والتجاوز من سياق إلى آخر ومن أهم هذه الموضوعات هي العبور من الموت والصنيع والتخاذل إلى الحياة والانبعاث والعبور من منطقة الحزن إلى لحظة الانفتاح ويتم العبور حيناً من مرحلة فكرية متسمة بالتخلف إلى مرحلة فكرية تتسم بالتجدد أو يتم الانتقال من الواقع الحضاري السلبي الذي يمنع من التواصل بين الرجل والمرأة وخلق حالة من الفضاء المتسم بالسواد في العلاقة بين الجنسين إلى بناء حضارة جديدة تكون العلاقة فيها بين الرجل والمرأة على أساس التلاحم والانسجام في منظومة متكاملة من العلاقة بين الجنسين أو عبور منطقة العذاب والمعاناة ومنطقة الأماسة بالتشبث بالهوية والأرض وبالانتماء إلى الأرض بوصفه وسيلة النجاة والانقاذ للإنسان والأرض معاً وثمة انتقال يرتبط بالقصيدة الأسرية في عملية الاسترجاع الذاكري إلى فضاء الأسرة وفضاء الطفولة والنهر في حضوره في القصائد التي تتضمن هذا النوع من العبور يمثل تابع الشاعر بصورة

يعيد إليها الذكريات ويجعله يحنُّ دائماً إلى تلك الفضاءات الحنونّة الطافحة بدفء حضن الأم وعبير الحياة ونشوة الطفولة وما يجلب الانتباه عند دراسة التشكيل المائي عد الشاعر هو حذقة الشاعر في استخدام الماء وطاقاته بصورة تتسم بالجدّة والإبداع وايضا ما يجلب الانتباه هو العلاقة الازدواجية بين الماء والنار في شعر الشاعر.

## الهوامش

١-العنوانات المذكورة حسب التسلسل الآتي في الصفحات ٢٣. ٤٥. ١٨٤. ٢٧٣. ٣٤٣

## المرفقات

١. القصيدة الأسريّة نوع من القصائد ترتبط بالأسرة من ناحية الموضوع وتشكل هذا النوع من القصيدة اليوم مضموناً إبداعياً داخلاً بقوة الى مساحة القصيدة العربيّة الحديثة وعنصراً مسهماً إسهاماً واضحاً في رسم ملامحها، طابعاً إياها ببصمة سير ذاتيّة وقد شكلت هذه القصيدة ركناً متيناً هاماً من أركان الشعر عند معد الجبوري (محمد جاسم، ٢٠١٩م: ١٠٧٥).

## المصادر والمراجع

### المصادر العربية

- القرآن الكريم
- ابن كثير القرشي، (٢٠٠٠م)، أبي الفداء اسماعيل، تفسير القرآن الكريم، بيروت: دار ابن جزم.
- البستاني، بشرى، (٢٠١٥م)، وحدة الإبداع وحواريّة الفنون، ط١، عمان: دار فضاءات.
- إلياسي، حسين، طاهري نيا، علي باقر (١٣٩٧) تحليل گفتمان شعر بشرى البستاني بر اساس رويکرد اجتماعي، رساله براي دريافت دكترى، دانشگاه تهران.
- التميمي، حسام، (٢٠٠٦م)، الخليل في شعر عزالدين المناصرة، ضمن كتاب شعريّة الجذور: قراءات في شعر عزالدين. المناصرة، عزالدين، ط١، بيروت: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.
- التميمي، حسام، (٢٠٠٦م)، تجليات جفرا في شعر عزالدين المناصرة، ضمن كتاب شعريّة الجذور: قراءات في شعر عزالدين المناصرة، ط١، بيروت: دار مجدلاوي.
- الجبوري، معد، (٢٠١٤م)، الأعمال الشعريّة الكاملة، عمان: دار فضاءات.
- الخليل، سمير. (٢٠١٢م)، علاقات الحضور والغياب في شعريّة النص الأدبي: مقاربات نقدية. دمشق، دارالتموز.
- جميل، شادن، (٢٠١٠م)، فضاء الرؤيا ورمزيّة الحلم، ضمن كتاب محمد صابر عبيد: فضاء الكون الشعريّ من التشكيل الى التدليل، دمشق: دارالنيوى.
- عبيد، محمد صابر. (٢٠١٠م). فضاء الكون الشعريّ من التشكيل الى التدليل: مستويات التجربة الشعريّة عند محمد مردان. دمشق: دارالنيوى.
- عفيفي، أحمد، (٢٠١٦م)، الصوت المختلف، ط١، عمان: دار فضاءات.

- فاتن، غانم، (٢٠١٥م). تداخل الفنون في الشعر النسوي المعاصر؛ بشرى البستاني نموذجاً، عمان: دارالفضاءات للنشر.
- متقي زاده، عيسى، أحمدى، خاطره، (٢٠١٤م). دلالة الألوان في شعر المتنبي، إضاءات نقدية (فصلية محكمة)، السنة الرابعة، العدد ١٥
- محمد جاسم، جاسم، (٢٠١٩م). جماليات القصيدة الأسرية: قراءة في نماذج من ديوان مخطوط موصلي لمعد الجبوري، مجلة كلية التربية الأساسية: جامعة بابل، العدد ٤٣
- محمود عبدالله، إخلاص، (٢٠١٢م)، العنوان في شعر معد الجبوري (دراسة سيميائية). عمان: دار فضاءات.
- طاهري نيا، علي باقر، الياسي، حسين، خطاب الأمل عند بشري البستاني، مجلة آفاق الحضارة الإسلامية، العدد ٢، السنة العشرون، ١٤٣٨ هـ، ٧٩-١٠٣.
- طاهري نيا، علي باقر، مقدسي، أبو الحسن، الياسي، حسين، حركية الدلالة وانحراف الحضور في شعر معد الجبوري، مجلة لسان المبين، العدد ٣٥، السنة العاشرة، ١٣٩٨، صص ٦١-٨٠.



### کاربست آب و دغدغه گذر در ساختار شعر معد جبوری\*

حسین الیاسی، دانش‌آموخته دکتری دانشگاه تهران و پژوهشگر پسادکتری

علی باقر طاهری نیا، استاد زبان و ادبیات عربی دانشگاه تهران

عزت ملا ابراهیمی، استاد زبان و ادبیات عربی دانشگاه تهران

#### چکیده

آب و مفاهیم مرتبط با آن، خمیرمایه شعر معاصر عربی را تشکیل می‌دهد که در شعر عربی معاصر، کاربرد فراوان دارد و شاعران از این رمزگان، بسیار در اشعار خویش بهره گرفته‌اند. کاربرد آب در شعر معاصر، دارای معانی مختلفی است که از پرکاربردترین این معانی، معنای عبور و انتقال است. معد جبوری از شعرای معاصر عراقی است که در شعر خویش، آب و لوازم آن را بسیار به کار برده است و در حقیقت، شاهد چیرگی این رمزگان شعری در ساختار شعر او هستیم و به ندرت شعری از وی را می‌توان یافت که خالی از کاربرد آب باشد و یا دربردارنده معنای عبور و گذر نباشد. پژوهش حاضر با تکیه بر روش توصیفی - تحلیلی که همسو با نوع پژوهش است، به بررسی مفهوم عبور و انتقال در شعر معد الجبوری می‌پردازد. نتایج نشان می‌دهد که موضوع عبور و گذر، از موضوعات مهم و پایه‌ای شعر اوست که دارای معانی مختلفی است؛ از جمله این معانی و دلالت‌ها، عبور از حالت نیستی به زندگی و گذر از منطقه حزن و شکست و رسیدن به زندگی و سرور است که در این مفهوم، شهادت و فدا شدن در راه وطن و سرزمین، وسیله عبور و انتقال و رمز گذر است. موضوع دیگر، گذر از حالات خشکی و ایستایی زندگی و پژمردگی و رسیدن به شادباشی با تغییر فضای فرهنگی حاکم بر جامعه، در سایه ارتباط دوسویه بین زن و مرد است؛ همچنین حضور آب در شعر شاعر، دارای دلالت‌های دیگری است که پژوهش حاضر به بررسی و کندوکاو آن می‌پردازد.

**کلمات کلیدی:** شعر معاصر عربی، معد جبوری، آب، عبور و گذر.